مقدمة

للشيخ عائض القرني

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه وبعد:

فلا أعلم شاعراً سارت بشعره الركبان، ودوت بقصائده المجالس، وترنمت بأبياته الحداة، كأبي الطيب المتنبي حتى كاد يصح فيه قوله:

وما الدهر إلا من رواة قصائدي
إذا قلت شعراً أصبح الدّهر منشداً

ولهذا الشاعر من قوة الأسر، وحسن التأثير، وروعة الإبداع، ما يفوق الوصف، حتى صار مثار الجدل بين المحبِّين والحاسدين، وألفت فيه الكتب، وعقدت من أجله الندوات، وكثر فيه القيل والقال، حتى صدق فيه قول ابن رشيق القيرواني: المتنبىء مالىء الدنيا وشاغل الناس.

ولكن هذا الجمال في الحرف، والحسن في الديباجة، والإشراق في الكلمة، والحكمة في القول، لم يصاحبه صيانة في المضمون، وقداسة في المعنى، فليس عند الرجل ديانة تحميه من الجرأة في إطلاق بعض العبارات، وما كان عنده ورع يحجزه عن اقتحام سياج الملة المطهرة؛ بل كان كلما أسعفه خاطره وأمطره ذهنه ببنات فكره ألقى الكلام على عواهنه، وسرح القول بلا رويّة، فعثر به لسانه، وكبا به حصانه، وكل من تكلّم عن شعر المتنبئ لم يتطرق إلى تجاوزاته في جناب الدين، وحضرة الشريعة، إنما شرحوا ألفاظه وبينوا عباراته، وبسطوا جمله للناس، ومنهم من قدح في شعره من باب البلاغة والبيان، لا من بوابة الإيمان، وإنّما قصدوا الصناعة فحسب، حتى من تحامل عليه كالصاحب بن عباد إنما اتهمه بسرقات المعاني، ولم يتعرّض لما هو أعظم من ذلك؛ وهو سطوته في العبارة وتهوره في إطلاق بعض الأبيات.

وحتى علي بن عبدالعزيز الجرجاني لما حاكم المتنبئ وتوسط بينه وبين خصومه ذهب مذهب الأدباء في دراسة الكلمة والاعتناء بالميزان الشعري والنقد الأدبي ولم يُوقف الرجل عند حده في المسألة الكبرى، وهي مسألة الديانة التي صيانتها واجب، والذب عنها جهاد، واحترامها عبادة.

والواحدي وهو أحسن من شرح ديوان المتنبئ على ذكاء الواحدي وعلمه بالتفسير كان يمر على هفوات المتنبئ مروراً سريعاً بلا تعقب، وبلا محاسبة.

وقل مثل ذلك في العكبري والبرقوقي ومحمود شاكر وغيرهم ولا أنكر أن بعضهم لحظ على المتنبئ تجنيه وإسرافه وتطاوله المشين في جانب الشرع، لكن لا أعلم دراسة مستقلة مستفيضة قاصدة في هذا الباب.

ومبدأ محاكمة الناس في محكمة الوحي مقبول ومشروع، فإن كلاً يؤخذ من كلامه ويُرَد إلا الرسل عليهم الصلاة والسلام لمكان العصمة، وقد لام الله أعداءه على كلمات صدرت منهم، وكفّر بعضهم بجمل تفوهوا بها من الإلحاد والاستهزاء به وبكتابه وبرسوله، وتوعد أقواماً على إفكهم وكذبهم، ونسبة الولد والصاحبة له ـ تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ـ، وكبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبًا.

ونهى ﷺ عن إطلاق بعض العبارات، وزجر بعض المتكلمين بين يديه لما أخطؤا؛ كقول أحدهم: ما شاء الله وشئت، وقول الآخر: ونستشفع بالله إليك، إلى غير ذلك من القول المحرم.

وحق علينا جميعاً أن نجعل ميزان الناس جميعاً كتاب الله

وسنة رسول الله ﷺ؛ لأنه لا يسع أحدٌ في العالم مهما بلغ الخروج عليهما، وقد أحسن من حاكم الفلاسفة وأهل المنطق إلى الوحي، كما فعل شيخ الإسلام ابن تيمية، لأننا إذا أهملنا محاسبة الناس إلى الشرع قال من شاء ما شاء.

وقد قرأت بتمعن ما كتبه الأخ الشيخ أبو مصعب في كتابه هذا، فرأيت رسالة جادة مسئولة، ووجدت كلاماً علميًّا شرعيًّا راقيًّا يدعمه الدليل، وتعضده الحجّة، فكان بحق سبّاقاً إلى هذا العمل المبارك الراشد، وسوف يكون هذا الكتاب ميزانًا عادلاً أميناً عند محبي وعاشقي شعر هذا الشاعر المتفرد، ليكونوا على بصيرة من أمرهم في مطالعة ما جادت به قريحة هذا الشاعر المبدع الفذ، ولا أجد ما أقوله لأبي مصعب على جودة ما قدّم وروعة ما كتب، إلا ما قاله أبو الطيب المتنبئ في ممدوحه:

قطف الرجال القول قبل نباته
وقطفت أنت القول لما نوّرا

وهذا التأليف الساجي ليس بغريب من أبي مصعب[1]، فهو صاحب أدب خلاب، وأسلوب جذّاب، واطّلاع واسع، وقلم

---

(١) هذا حسن ظن من الشيخ عائض، وإلاّ فإنّي أعلم من نفسي التقصير والعلم المزجىٰ. «اللهم اغفر لي ما لا يعلمون».

بارع؛ وكأنه المقصود بقول أبي الطيب أيضاً في صاحبه:

إذا تغلغـــل فكـــر المـــرء فـــي طَـــرَفٍ،
مـــن علمـــه غـــرقـــتْ فيـــه خـــواطـــره

جزى الله أخانا النبيل أفضل الجزاء وأجزل العطاء وبلغه أمنيته في نصر الحق وحماية الملة وصيانة الشرع والذب عن الدِّين، وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم.

عائض القرني

١/٦/١٤٢١هـ

الرياض